تربية العولمة أم عولمة التربية

أ.م. سيفي فيروز

الجزائر/ مديرية التربية بمحافظة برج بوعريريج

الملخص:

أصبحت التربية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية أهم فرع من فروع النشاط في العالم إذا ما أخذنا مجموع النفقات المخصصة لها معيارا، وأما من حيث الميزانية فإنها تأتي في الدرجة الثانية بالنسبة إلى النفقات العمومية العالمية أي بعد النفقات العسكرية مباشرة و في بعض الدول المتطورة تحتل التربية أحيانا المرتبة الأولى من حيث الميزانية المخصصة لها . وتناط بالتربية مهام تزداد كل يوم اتساعاً وتعقيداً، بحيث أن مجرد المقارنة مع مهامها في الماضي لا تصح لأن العالم يشهد تطورات هائلة تجعل التربية بحاجة الى تطوير مناهجها بين الحين والحين ، وتؤلف التربية عنصر أساسياً في كل مشروع من مشاريع التنمية والتقدم الإنساني، بل أصبحت من أهم العوامل في وضع السياسة الوطنية والسياسة الدولية.

وهناك ظاهرة جديدة برزت تستحق الاهتمام على الصعيد المذهبي والعلمي هي ظاهرة العولمة، ويأتي الاهتمام بها هنا في إطار فلسفة التربية باعتبارها هي التي تحدد المنطلقات الفكرية للعمل التربوي والذي هو عمل منظومة فرعية من جملة المنظومات المكونة للمنظومة المجتمعية الكلية بما تشمله من منظومة سياسية ومنظومة اقتصادية ومنظومة ثقافية وهكذا .

والمنظومة التربوية على هذا الأساس يجب أن تعمل في تناغم واتساق مع سائر المنظومات الاجتماعية مما يستتبع حتمية الاستناد إلى منطلقات مجتمعية عامة هي التي تشكل ما نسميه بفلسفة المجتمع، والتربية اليوم تشكل ثنائية أو توأمة مع العولمة ، ذلك أن التربية في ظل العولمة غيرت نمط مهامها ومناهجها والعولمة هي الأخرى بحاجة إلى تربية ممنهجة حتى تؤدي مفعولها . ولوجود هذه العلاقة الحتمية بين التربية والعولمة أردت من خلال هذا البحث أن أبين كيف تنعكس التربية على العولمة ؟ وكيف تؤثر العولمة على التربية ؟

الكلمات المفتاحية: العولمة – التربية – الهوية – التراث – المعاصرة – الأصالة – الهيمنة – المواجهة – الاحتواء – العودة إلى الذات.

Education globalization or the globalization of education

Asst.Prof.Dr. Sevi Fairuz
Algeria / Directorate of Education in Bordj Bou Arreridj

Abstract:

Globalization is a new phenomenon that has received widespread attention in intellectual circles which erupted - and still does - a broad controversy and varied opinions.

It is not just a linguistic term easily explained or put it in the face of another term, It is this powerful movement that go deep in all directions which are not determined in a particular stage or period . so it resembles a machine that roams the earth treading on everything and caring for nothing, it does not recognize the traditional boundary between the countries of the world, it's a machine with no steering wheel, its only direction is forward and so it is moves strongly ,growing every day and not understanding nothing except its appetite.

Globalization is not a theory developed by a scientist or a philosopher, but it's the experiences obtained in the years of the past two decades since the end of the Cold War and the collapse of the Berlin Wall until the present day. A phenomenon that touched all fields to the extent that one is puzzled how to study it and build a knowledge on the subject matter, especially that each author or speaker addresses its analysis from a particular aspect, such as the economic, cultural, political or informative.

Globalization covered all aspects of human life, making it awaken minds and leading them to look for a way to upgrade and how to confront and defend cultural identities. The most dangerous aspect globalization can reach is the field of education, because education is the corner stone for all other areas such as culture, politics, economy. Education helps us maintain our Arab identity, thus making it easier for us to face globalization, and so we find ourselves in a crossroads: Globalization of Education, which causes the demise of identity or Breeding of Globalization and taming it for the benefit of our societies, and this is what we are supposed to achieve which requires many mechanisms and challenges not to be underestimated. These mechanisms are what I want my research to address and explain in the hope that it could benefit us to contain the phenomenon of globalization and ensure the permanence of the cultural identity of the Arab and Islamic societies.

Key words : Globalization - Education - Identity - Heritage - Contemporaneity - Authenticity - Domination - Confrontation - Containment - Return to essence.

المقدمة:

العولمة ظاهرة جديدة حظيت باهتمام واسع في الأوساط الفِكرِية وثَار حَولها – و لا يزال – جدل واسع و اختلفت حيالها الآراء. إنَّ العولَمة ليست مجرد مصطلح لغوي يسهل تفسيره أو وضعه في مواجهة مصطلح أخر إنها تلك الحركة القويَّة الَّتي تذهب عميقا فِي جميع الاتِّجاهَات والَّتي لا تتحدَّدْ في مرحلة من المراحل أو الحقب بسمات معيَّنة. والعولمة تشبه الآلة التي تسير على سطح الأرض تطأ كلّ شيء ولا تعبأ بشيء ولا تعترف بالحدود التَّقليديَّة بين بلدان العالم، إنَّها آلة لا عجلة قيادة لها، إنَّها آلة لا تتحرَّك إلا إلى الأمَام وبقوَة تزداد كلّ يوم و لا تسير إلاَّ خلف شهيَّتها. العولمة ليست نظرية وضعها عالم أو فيلسوف، بل هي تجارب حصلت في سنوات العقدين الماضيين منذ انتهاء الحرب الباردة و انهيار سور برلين إلى يومنا هذا. وهي ظاهرة طرقت كلّ الميادين لدرجة أنَّ المرء يحار في كيفيَّة دراسة هذه الظَّاهرة والإلمام بموضوعها خاصَّة أنَّ كلّ مؤلِّف أو متحدِّث يتناولها بالدِّراسة و التحليل من جانب معين مثل الجانب الاقتصادي أو الثَّقافي أو السّياسي أو الإعلامي.

إنَّ العولمة شملت كل جوانب الحياة البشرية ممَّا جعلها توقظ العقول وتدفعها إلى التساؤل عن السَّبيل إلى النهوض وكيفية المواجهة والدِّفاع عن الهويات الثَّقافية. واخطر مجال يمكن أن تصل العولمة إليه هو مجال التربية، لأن التربية هي المهيكل الحقيقي لكل المجالات الأخرى كالثقافة والسياسة والاقتصاد، وبالتربية يمكن أن تحافظ مجتمعاتنا العربية على هويتها ومن ثمة يسهل علينا مواجهة العولمة، لذا نجد أنفسنا أمام مفترق طريقين عولمة التربية ومنه الانصهار في الآخر وزوال الهوية أو تربية العولمة وترويضها لصالح مجتمعاتنا، وهذا ما نحن مطالبون بتحقيقه ويحتاج منا هذا آليات كثيرة وتحديات لا يمكن الاستهانة بها. هذه الآليات هي التي أريد لبحثي هذا أن يتضمنها ويبينها عساها تفيدنا في احتواء ظاهرة العولمة وضمان استمرار الهوية الثقافية لمجتمعاتنا العربية والإسلامية وامتصاص ثقافة الآخر واحتوائها لا الانصهار فيها و أحاول من خلال هذا المقال أن أجيب عن الإشكال التالي : أيهما يجب أن يحتوى الأخر التربية أم العولمة ؟

١/أهداف التربية :

الغايات عبارات عامة يعطى من خلالها اتجاه وشكل المستقبل تتسم بالمثالية والطموح وتصف نواتج حياتية مرغوبة استنادا إلى تنظيم قيمي فلسفي اجتماعي، أو هي عريضة بعيدة المدى على درجة عالية من التجريد تتصل بالحياة أكثر مما تتصل بالفصل أو الممارسة التربوية. فالغايات عبارة عن صيغ يطبعها التجريد والعمومية تعبر عن المقاصد العامة البعيدة المدى التي تريد التربية أن تحققها، كما أن الغايات تعتبر أنها مجموعة من إعلانات النوايا النسبية للتوجيهات أو القيم المرتبطة بالترقية والمتضمنة عادة في الوثائق الرسمية والخطب السياسية.

ويرى لي طان خوي LE THAN KHOI أن الغايات التربوية هي تلك القيم أو المعايير التي يحددها فلاسفة وتربويو مجتمع ما المرتبطة بعصرهم وظروفهم التاريخية والاجتماعية التي تتبناها السلطة السياسية لنظامها التعليمي ويمكن أن تظهر على نوعين :

أ- غايات صريحة واضحة وتظهر في الدساتير والخطب الرسمية والقوانين ومخططات التنمية والتربية وكافة البرامج السياسية .

ب- غايات مستترة وتستنتج من ملاحظة الواقع ويمكن إدراك فرق كبير بينها بل ويمكن القول أن الغايات المستترة هي المحرك الأصلي لكل الغايات فهي الموجه وهي النوايا الحقيقة التي يراد تحقيقها على ارض الواقع.

مما سبق يتضح أن الغايات التربوية عبارات فلسفية واسعة تظهر على مستوى النظام السياسي وترتبط بقراراته المحددة لنمط المواطن المرغوب فيه، ومن ثم فهي تختلف باختلاف الأنظمة السياسية والتربوية وتمثل إطارا عاما للعمل في المجال التربوي يضع في اعتباره كافة الأبعاد التي تعبر عن طبيعة مجتمع ما وترسم آماله وطموحاته. والتربية في النهاية تهدف إلى ضبط سلوك الإنسان لتجعل منه سلوك سوي وناجح يتكيف مع المواقف تكيفا ايجابيا. فالفلسفة التربوية الغربية لا تريد إعداد إنسان لمهنة أو وظيفة، و إنما تريد تحقيق إنسان يغير العالم بعد أن يغير ذاته أو بالأحرى يهيمن على العالم، ويصنع حركته التاريخية.

٢- مفهوم العولمة و أهدافها :

المعنى اللغوي لكلمة عولمة مشتق من الفعل ،علم، و يعلم، عولمة على وزن فوعله : يقال فوعل الشيء أي جعل له فاعلية و تأثيرا. و العولمة لغويا هي تعميم الشيء إلى ابعد حد ممكن و تطبيقه على أوسع نطاق[١.] فالعولمة هي إكساب الشيء صفة العالمية وجعل تطبيقه عالميا و العولمة مصطلح حديث إذ يركز هذا المفهوم على التقدم الهائل في التكنولوجيا و المعلوماتية بالإضافة إلى الروابط المتزايدة على كافة الأصعدة على الساحة الدولية. [٢]

و بدأ مفهوم العولمة يحتل موقعاً أساسياً في العلوم الاجتماعية المعاصرة ويستخدم في عدد من فروع المعرفة مما جعله أحد المفاهيم التي تستدعي مدخلا تتفاعل فيه فروع المعرفة بشكل متبادل وصادق لتحليل المجتمع ككل، لأنه يتضمن معظم الظواهر الاجتماعية والاتصالية والثقافية والاقتصادية المعاصرة.[٣] وتستخدم مصطلحات كثيرة للتعبير عن مفهوم العولمة منها الكوننة Universalisme والكوكبة Globalisation والدولية Internationalisation والعالمية وغيرها... إلا أن المفهوم الأكثر شيوعاً واستخداماً هو العولمة Mondialisation، وكان أول من أطلقه معرفيا عالم الاجتماع الكندي مارشال ماك لوهان في الستينيات إبان صياغته لمفهوم القرية الكونية (Global Village).[٤] وتبنى هذه الفكرة بعده بريجنكسي الذي أصبح فيما بعد مستشاراً

للرئيس الأمريكي جيمي كارتر وعمل على أن تقدم أمريكا نموذجا كونيا للحداثة أمريكي القلب والوجه واللسان وانتشرت الحادثة الأمريكية على مستوى العالم بسرعة كبيرة في الأوساط المختلفة بينما بدأت الإيديولوجية السوفييتية التي اعتمدت منطق الدبلوماسية والشعارات الثقيلة بالاحتقان والضمور يوما بعد آخر.

تعرف العولمة على أنها " الاتجاه الذي يصبح به العالم نسبيا كرة اجتماعية بلا حدود " أو أنها تكثيف العلاقات الاجتماعية عبر العالم حيث ترتبط الأحداث المتباعدة بطريقة تبدو كما لو كانت تتم في مجتمع واحد. ويعرف بيتر ماركوس العولمة أنها : "شكل جديد للرأسمالية أحاطت من خلاله العلاقات الرأسمالية كافة الأبعاد والمجالات الإنسانية"، وبذلك فإنها ظاهرة تتداخل فيها أمور السياسة والاقتصاد والثقافة والاجتماع والسلوك، ويكون الانتماء فيها للعالم كله عبر الحدود السياسية الدولية وتحدث فيها تحولات على مختلف الأصعدة تؤثر على حياة الإنسان في كوكب الأرض أينما كان ودون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة أو انتماء إلى وطن محدد أو لدولة معينة.

تأخذ العولمة أبعاداً كثيرة غير أن التنميط أو التوحيد الثقافي للعالم كله أخذ قصب السبق فيها عبر أعمال آليات استراتيجية الهيمنة والتبعية باعتبارها الأوفى لتحقيق مبدأ التنميط وبذلك أصبحت العولمة وفق هذا التوجيه تعني السيادة المطلقة ليس لنموذج اقتصادي وحسب وإنما سيادة النظام الكوني الأمريكي الموحد عبر آلياته وأهدافه التي تؤكد على ذلك يوم بعد يوم .[٥] ويورد عبد الله بوجلال عن المنصف وناس أن العولمة تعني تعميم النموذج الاقتصادي والسلعي والتجاري والثقافي والاجتماعي على العالم، فهي الانصهار في بوتقة الاقتصاد الرأسمالي والتسليم بما يمكن أن يسمى بالأحادية الاقتصادية والتأقلم مع متطلبات السوق وشروطها والتسليم بجوانب العولمة المختلفة والقبول بآثارها الاجتماعية والثقافية .[٦]

ومنه يمكن القول أن العولمة تحولت إلى هيمنة سياسية وثقافية واقتصادية ولن تستطيع نظم التعليم أن تعيش بمنأى عن هذه الهيمنة والعبارة الشهيرة العولمة هي أمركة العالم تجسد المفهوم الحقيقي للعولمة. ويترتب عن هذا المفهوم للعولمة القائم على الهيمنة تحديات متعددة منها العولمة والهوية القومية، حيث يظهر تعارض حاد بين الطرفين، فالتمسك بالهوية والوطن والأمة والخصوصية الثقافية والدينية يقابل العولمة ويقاومها، وهناك أيضاً التحدي الثقافي والحضاري لما قد تفرضه العولمة من أنماط وسلوكيات وثقافة غريبة عن تلك المألوفة مما ينذر بصراع الثقافات والحضارات وعودة الاستعمار في شكل جديد في ظل انعدام تكافؤ القوى، ومن هنا يمكن القول أن العولمة وفق ما يريد لها المجتمع الغربي هي حوار من زاوية واحدة زاوية الأقوى بكل ما يحمله

مفهوم القوة من معاني. لذا تهدف العولمة الغربية إلى اكتساح المنظومة التربوية للمجتمعات الضعيفة بهدف النيل من ثقافتها وقتل هويتها. ويمكن تلخيص أهداف العولمة في النقاط التالية :

– الوصول إلى سوق عالمي مفتوح بدون حواجز أو فواصل جمركية أو إدارية أو قيود مادية أو معازل عرقية أو جنسية أو معنوية أو عاطفية بل إقامة سوق متسع ممتد يشمل العالم كله، ويشمل كل قطاعاته ومؤسساته وأفراده أي الوصول بالعالم كله إلى أن يصبح كتلة واحدة متكاملة ومتفاعلة، وفي نطاق هذا الهدف يتم احتكار مباشر وغير مباشر بين كافة الأجناس البشرية بموروثهم الحضاري و ثقافتهم المتعددة و اختلافهم الفكري و صهر هذا الاختلاف فى بوتقة التوحيد و الائتلاف.

– الوصول بالعالم إلى جعله وحدة واحدة مندمجة و متكتلة سواء من حيث المصالح و المنافع المشتركة و الجماعية أو من حيث الإحساس و الشعور بالخطر الواحد الذي يهدد البشرية جميعا أو من حيث أهمية تحقيق الأمن الجماعي بأبعاده الكلية و عناصره الجزئية الفاعلة فيه و أهمية التصدي لأي خطر يهدد الاستقرار و الأمن العالمي العام و التعامل معه بجهد و عمل مشترك و تعاون كامل من الجميع و يتضمن ذلك القضاء على بؤرة النزاع ، و مصادر التوتر و عوامل القلق و يتم ذلك من خلال زيادة مساحة الفكر المشترك، و إنهاء حالات الصراع و زيادة الاعتمادية المتبادلة بين الشعوب و تنمية حاجة كل منهما إلى الآخر، و خلق الثقة، و جني المكاسب المشتركة ، وتتبنى البشرية ثقافة واحدة طبعا هي ثقافة الأقوياء.

– الوصول إلى شكل من أشكال التجانس العالمي سواء من خلال تقليل الفوارق في مستويات المعيشة أو في الحدود الدنيا لمتطلبات الحياة أو في حقوق الإنسان و خاصة أن هذا التجانس لا يكون بالتماثل، ولكنه قائم على التعدد و التنوع و على التشكيل الدافع و الحافز على الارتقاء والتطور الذي يرتفع بجودة الحياة و من ثم تختفي الأحقاد و المطامع و تزداد المودة و الألفة ومن ثم يتحول الانتماء والولاء إلى رابطة إنسانية عامة شاملة تشمل كل البشر و تتحول قيمة الحياة معها إلى قيمة الحرية و قيم العدل و قيم المساواة ظاهريا فقط أما الباطن فهو احتواء الآخر وتربيته على نسق الدول الغربية المهيمنة.

– تنمية الاتجاه نحو إيجاد لغة اصطلاحية واحدة تتحول بالتدريج إلى لغة وحيدة للعالم يتم استخدامها و تبادلها سواء بالتخاطب بين البشر، أو بين الحاسبات الالكترونية، أو ما بين مراكز تبادل البيانات و تخليق و صناعة المعلومات.

– الوصول إلى وحدة الإنسانية جمعاء و يستخدم لتحقيق هذا الهدف قدر متعاظم من الحراك الحضاري لتأكيد الهوية العالمية ولتحقيق تحسينات مضافة في الوجدان و الضمير الإنساني، وتنمية الإحساس بوحدة البشر ووحدة الحقوق لكل منهم سواء ما كان مرتبطا بحق الحياة و حق الوجود وحق الاستمرار

– تعميق الإحساس و الشعور العام و المضمون الجوهري بالإنسانية البشرية، و إزالة كل أشكال التعصب و التمايز العنصري و النوعي وصولا إلى عالم إنساني بعيدا عن التعصبات .

– انبعاث و بعث رؤية جديدة بمثابة حركة تنوير كبرى و استبصار و تبصير فاعلة يسرى و يداعب طموحات البشر باختلاف أجناسهم و شعوبهم و دولهم و يخاطب أحلامهم و من ثم تصبح الرؤية فاعلة في المنظور البشرى سواء من حيث الضمير أو من حيث الطموحات. وهذه أهداف تبدو سامية لكنها مجرد آلية للنفاذ واستعمار الشعوب والقضاء على هويتها خاصة الشعوب العربية الإسلامية.

٣– جدلية التربية و العولمة :

يمكن اختصار إشكالية العولمة والتربية في التساؤل التالي :

هل الهدف عولمة التربية أم تربية العولمة؟ وبمعنى آخر هل العولمة سوف تنتج تربية خاصة بها؟ أم أن التربية ينبغي أن تحافظ على مقوماتها الذاتية وتستوعب العولمة والتي تحتم على التربية الاستجابة لها، ويتطلب الشق الثاني معرفة الاستعدادات التي يجب إتباعها لتحصين النفس كنوع من الوقاية أولا، ولما كانت العولمة كالثورة العلمية والمعلوماتية تتضمن أيضاً توصيل المعلومات والخدمات الفورية إلى كل أنحاء العالم بسرعة الضوء عبر التجارة الإلكترونية والديمقراطية الإلكترونية والتعليم الإلكتروني. وإذا كانت العولمة الاقتصادية تبدو للبعض مكتملة على أرض الواقع، فإن العولمة التربوية ليست بنفس القدر من النضج والعالم بعيد كل البعد عن أن يكون معولما عولمة تربوية، فهي ظاهرة حديثة وتمر بمرحلة التأسيس الأولي ولم تبرز بشكل واقعي إلا في التسعينيات خاصة بعد الضغوط التي بدأت تمارسها الولايات المتحدة الأمريكية راعية العولمة على بعض الدول وأنظمتها التربوية لتغيير سياستها التربوية ومناهجها ومحتواها بما يجعلها تستجيب للمطالب الأمريكية والخريطة الجيو سياسية الجديدة التي يتم الإعداد لتنفيذها بعد أن اكتمل التخطيط لها. وإذا كان هناك إجماع على معنى العولمة الاقتصادية فإن الأمر ليس كذلك بالنسبة للعولمة التربوية حيث لم تتمكن من أن تجاري في تجلياتها وتطبيقاتها على أرض الواقع تجليات وتطبيقات العولمة الاقتصادية، فالعالم ليس موحداً تربوياً أو ثقافياً كما هو موحد تجارياً ومالياً، كما أ، دول العالم التي تتدافع وتتنافس للأخذ بسلع ومنتجات وخدمات العولمة الاقتصادية

تبدو أقل اندفاعاً وإقبالاً وأكثر تردداً وتمهلاً نحو مفاهيم العولمة التربوية، وكثير من الشعوب غير مطمئنة للعولمة التربوية وغير واثقة من كيفية التعامل معها، وفي الوقت الذي يبدو فيها العالم ميالاً للانغماس في العولمة الاقتصادية فإنه يظهر ميلاً للانكماش من العولمة التربوية، فالهدف النهائي للعولمة التربوية خلق تربية واحدة وعالم بلا حدود وهو ما لم يتحقق ولا نتوقع أن يتحقق قريباً. أما بالنسبة لتربية العولمة فتتجلى من خلال محاولات الإصلاح التي بدأت تضطلع بها معظم الأنظمة التربوية في العالم محاولة منها الإبقاء على بعض خصوصياتها من جهة ومسايرة متطلبات العولمة من جهة أخرى حتى لا يجرفها تيار العولمة.

والغالب أن الاتجاهين الأول والثاني متداخلان، فكما أن للعولمة منهجها وأسلوبها وآلياتها فإن لها محتواها بما يتضمنه من مكونات فكرية ومادية ولها صيغتها المفروضة، الأمر الذي يتطلب التفكير فيما عسى أن يكون موقع التربية من أجل مواجهة هذه التحديات إنه لا يمكن غلق الباب ولا يجب فتحه على مصراعيه حتى يبقى ما يمكن تنفسه بحرية وبما يناسب ظروف وقيم وعادات وعقيدة كل مجتمع وفق أولويات ومعايير ينطلق منها الاختيار الحر لكل فرد ولكل دولة. والنتيجة أن التربية لا ينبغي أن تعولم لأن أية عولمة للتربية ما هي إلا هيمنة لتربية فئة معينة أو حضارة معينة على فئة أو حضارة أخرى، هذه الهيمنة تستند على آليات من القوة خارج إطار التربية سواء كانت مستمدة من التكنولوجيا أو من الاقتصاد أو من القهر السياسي أو غيره.

وبالمقابل ينبغي التفكير في تربية العولمة تربية قادرة على الاحتفاظ بتنوعها بوسائل عديدة طالما بقيت الفروق البشرية قائمة، وهذا الأمر يتطلب إقامة نوعية جديدة من العلاقة بين العولمة والتربية لا تقوم على الهيمنة بل من خلال خلق نوع من الحوار والتكامل والتواصل الفكري حتى تتلاقى الثقافات بلا تصادم وأن يكون هناك ندية واحترام للكيانات الصغيرة فيصبح الحجم ليس مقياس التقدير ولكن بما لدى الكيان من فاعلية وتأثير وعطاء وقدرات مكنونة، إن التربية إنما هي إفراز بيئة بعينها ومن ثم كان تنوعها باختلاف البيانات التي أفرزها هو تنوع واختلاف يثري الثقافة الإنسانية، ومجرد توحيد هذه الثقافات إنما يحكم على الثقافة الإنسانية بالفناء ثم يحكم على الإنسانية بالتخلف، فمن حكمة الله أن خلق الناس مختلفين ليكمل بعضهم بعضاً ويثري أحدهم الآخر .[٧] ولاشك أن هذا النوع من التربية كفيل بأن يجعل كل أمة تعيش عالمها الراهن بواقعية ودون تناقضات أو تأزم أو حساسية حيال عقدة النقص أو الخوف بعيداً عن الهيمنة والصراع.

وفي ظل عولمة التربية . وهو ما تسعى إليه أمريكا . تتحول العولمة إلى هيمنة دول المركز في ظل منافسة غير عادلة. فالعولمة في مظهرها الخارجي انفتاح وتبادل للثقافات لكن في باطنها استعمار وزوال للثقافات الضعيفة فهي سيطرة الأنا الغربي على الآخر الشرقي وان صح التعبير

العربي الإسلامي. فهي حوار موجه نحو هدف تسطره المجتمعات الغربية القوية بثقافتها و منتوجها الاقتصادي.

٤ – أهداف فلسفة للتربية :

تسعى فلسفة التربية إلى تحديد غايات التربية وعليها أن تجيب في شأن ذلك عن سؤالين رئيسيين الأول لماذا نعلم ونتعلم ؟ والثاني ما مواصفات الإنسان نتاج التربية المنشودة ؟ والإجابة عن هذه الإشكالات الفلسفية هي التي ستحدد نمط العلاقة بين الأنا والآخر ، وفي ضوء ذلك يمكن تحديد الغاية الأساسية للتربية في المحافظة على مقومات الإنسان المتكامل من حيث البدن والفكر والعواطف والأخلاق، إن هذا المثل الأعلى التربوي نجده في جميع مراحل التاريخ وفي أغلب الأقطار وقد تحدث عنه رجال السياسة والفلسفة والأخلاق وأصحاب النظريات والمذاهب التربوية، وكان من المواضيع الأساسية التي اهتم بها الفكر الإنساني منذ أقدم العصور وربما كان تطبيق هذا المثل الأعلى ناقصا إلا أنه رغم ذلك كان مثمرا بل ساهم إلى حد بعيد في وضع العديد من المشاريع التربوية المفيدة للمجتمع.

إن الإنسان الذي تعنى التربية بتهذيبه هو على وجه العموم ذلك الإنسان المجرد من حدود الزمان والمكان لأن نفس الإنسان أينما وحيثما كان. (٨) والواقع أن غايات التربية لابد أن تكون خاصة وعامة في الوقت نفسه، فإذا اعتبرنا أهنا مستمدة من التراث والتقاليد والعادات أو مفروضة فرضا بحكم الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فحينئذ هي ناتجة عن حالات خاصة. ومن جهة أخرى فإنها تكتسي طابعا عاما ذلك أن التربية أصبحت اليوم من المشاريع التي لها أبعاد عالمية كما أنها تؤثر تأثيرا عميقا على مستقبل البشرية جمعاء. إن هذه الغايات هي في الواقع تعبير عن بعض المثل العليا التي تراود عقل الإنسان المعاصر، ومما يدل على وجود غايات مشتركة ما لوحظ من اتفاق بين الشعوب في الاتجاه الإنساني العلمي وفي تطور الفكر العقلاني وفي تشجيع الفرد على الخلق والإبداع والشعور بالمسؤولية اتجاه المجتمع وفي عدم ترجيح جانب من جوانب الشخصية على الآخر.

على أن اختيار الغايات ليس هو المشكل الأساسي فالأهم من ذلك أن تتفق الآراء حول تلك الغايات ومع أنه لا يمكن إنكار الدور الذي تلعبه الاختيارات السياسية والمعطيات التربوية والعلمية في تحديد تلك الغايات إلا أن الأمر لا يجب أن يترك لمشيئة رجال السياسة أو الصحافة أو العلماء وحدهم بل ينبغي أن يساهم في تحديد الغايات كذلك المعنيون بالأمر وأولياء أمورهم ..إن الدور الذي يمكن أن تقوم به التربية يتعلق بتلك الاختيارات وبحصول ذلك الاتفاق فإما أن توجه التربية أنظار الناشئة إلى المستقبل وإلى الماضي وإما أن يؤول الأمر إلى الجمود وإما أن توجه الأنظار إلى البحث عن الاستقرار المزيف عن طريق مقاومة التجديد والتغير وإما أن تستنهض

الهمم من أجل التوصل إلى الاستقرار الصحيح عن طريق مباشرة التقدم [٩] . وعموما هناك شبه اتفاق على ثلاث غايات رئيسية للتربية في كل العصور وهي : اكتساب المعرفة والتكيف مع المجتمع وتنمية الذات والقدرات الشخصية.

٥- غايات التربية في ضوء العولمة :

بعد أن تعرفنا على الغايات الرئيسية للتربية نتساءل هل ما تزال تلك الغايات كافية لأن تفي التربية بمتطلبات عصر العولمة؟ وتكون الإجابة بداهة بالنفي لأنه لا يمكن مجابهة أمر جديد بوسائل بالية. ذلك أن العولمة تتطلب إعداد إنسان العصر لمواجهة مطالب الحياة في ظل العولمة وهذا يعني أن العولمة أضافت أبعادا أخرى لتلك الغايات الرئيسية وفي هذا الإطار حدد تقرير اليونسكو "التعليم ذلك الكنز المكنون" أربع غايات للتربية تبدو ملائمة لعصر العولمة، و يمكن أن نلخصها في النقاط التالية: المعرفة كهدف للتعليم ، العمل كضرورة لتجسيد التعلم ، تعلم لتكون، التعلم آلية لإقامة علاقة مع الآخرين . التعلم من اجل صنع الذات

- المعرفة كهدف للتعليم :

إذا كانت هذه الغاية قديمة حيث ارتبطت المعرفة بالتعلم وهما عمليتان متلازمتان إلا أن الجديد هو أن عملية اكتساب الفرد للمعرفة تختلف في عصر العولمة عن سابق سرتها قبله في أمور أساسية عدة يلخصها نبيل علي في الآتي :

- كيف تعرف؟ لا ماذا تعرف؟ حيث كان التعليم في الماضي يركز على ماذا تعرف أي كم المعلومات والمعارف، لا كيف تعرف أي الطريقة التي يتم الحصول بها على المعرفة ومع ظاهرة الانفجار المعرفي انقلب الوضع وأصبحت الأولوية للكيفية التي يحصل بها الفرد على المعرفة وكيفية إتقان أدوات التعامل معها، لا ماذا تتضمنه هذه المعرفة من معلومات ومهارات وخبرات، إن المعرفة في عصر المعلومات والعولمة سريعة التطور والإهلاك من جهة ومن جهة أخرى فإن عملية اكتساب المعرفة لا تتوقف عند حدود الإلمام بها بل يجب أن تكتمل باستيعابها وتعميمها وتوظيفها وأصبح العلم يعني الممارسة والتعلم الذاتي.

- تراكم المعلومات لا يعني زيادة المعرفة: ويذهب هذا الأمر عكس الاعتقاد الذي كان سائدا والذي مفاده أنه كلما توافرت المعلومات وتراكمت زادت المعرفة وتضاعفت، حيث يحتم عصر العولمة الانتقال من الطبيعة التراكمية للمعرفة إلى الطبيعة البنائية، وكما يمكن للحكمة أن تضيع في خضم المعلومات يمكن للمعرفة أن تضيع بدورها في خضم المعلومات، بل إن المعلومات يمكن أن تضيع هي الأخرى تحت وابل البيانات المتدفقة التي يتسم بها عصر المعلومات، وسيظل إبداع العقل البشري كامنا في قدرة الفرد على توليد معرفة ضخمة من معلومات ضئيلة وغير مكتملة .

– تكامل المعرفة واتساع نطاقها : حيث أصبحت خريطة المعرفة منظومة شديدة الاندماج تتداخل فيها الإنسانيات مع الطبيعيات والعلوم مع الفنون، مما يستلزم ضرورة التخلص من نزعة التخصص الضيق التي سادت قبل عصر العولمة، فضلًا عن أن التعلم مدى الحياة أصبح مطلبا رئيسيا من مطالب عصر العولمة، وهو ما يعني التخلص من النزعة السلبية القائمة على التلقي والتحول إلى النزعة الإيجابية القائمة على البحث والاكتشاف وهو ما بينه جون ديوى الذي جعل من التربية فيض متجدد للمعرفة والخبرة فالتربية لم تعد فقط إعداد للحياة وإنما أصبحت هي الحياة لذا فإن التعلم وطلب المعرفة لابد أن يكون ملازم للإنسان طوال الحياة.

– العمل كضرورة لتجسيد التعليم :

هذه الغاية وإن كانت قديمة إلا أن الجديد هو تغير طبيعة العمل ونمطه وأطواره وأشكاله، ولم يعد العمل في عصر العولمة كسابقه في عصر الصناعة، ومع التوسع في استخدام التكنولوجيا لم يعد التعامل مقصورا على العالم الواقعي بل تجاوزه للتعامل مع عوالم الفضاء المعلوماتي والعالم الافتراضي، ومن خلال الوسيط الالكتروني من شاشات للعرض ووسائل الاتصال والتحكم وشبكات الانترنيت وغيرها. إن هذا التغير في طبيعة العمل يلقي على التربية ضرورة إعداد الأفراد للتعامل مع هذه العوالم بإكسابهم معارف ومهارات مغايرة لتلك التي يحتاجون إليها في التعامل مع دنيا الواقع، مثل مهارات الحوار عن بعد والتفاعل مع المكتشفات العلمية الحديثة ومهارة التنقل بين الواقع والافتراضي وغيرها من المهارات.

أما التغير في أطوار العمل؛ فقد نجم عنه أن أصبح للعمل في عصر العولمة أطوار عدة منها العمل عن بعد والعمل الجماعي والعمل أثناء التنقل والحركة وانهارت نتيجة لذلك الحدود الزمنية والمكانية بين الإنسان وعمله مما يتطلب إعداد الأفراد لمسايرة هذه التطورات وتمكينهم من التعامل من خلال العمل ومن أجله باتباع أسلوب التعلم في العمل.

– التعلم من اجل صنع الذات:

هذه الغاية أيضا قديمة وقد حظيت بالدعاية والإعلان بصورة ملفتة للنظر قبل عصر العولمة حيث شكلت عنوانا لحصيلة أعمال اللجنة الدولية للنهوض بالتربية التي شكلتها اليونسكو برئاسة إيدجار فور وصدرت الحصيلة في كتاب سنة ١٩٧٢ بعنوان "تعلم لتكون".

تسعى هذه الغاية إلى تنمية الفرد بدنيا وذهنيا ووجدانيا وروحيا من خلال إضفاء الطابع الشخصي على عملية التعلم بأن تجعل المتعلم محور العملية التعليمية واستخدام الأساليب والوسائل والمناهج التي تستجيب لحاجات المتعلم مع مراعاة مبدأ الفروق الفردية، كما تسعى إلى تسعى إلى تنمية ملكة الحكم على الأمور في أثناء مواجهة المواقف المتباينة والمختلفة مع سرعة اتخاذ القرارات والمقارنة بين بدائل الخيارات المطروحة.

وتسعى أيضا لتنمية الشعور بالمسؤولية الفردية وإضفاء مبدأ الإيجابية والمبادأة على السلوك الفردي عبر التحول من أسلوب التلقين الذي يعطي السلطة المطلقة للمدرس في السيطرة على المتعلمين المستقبلين للمعلومات والمعارف إلى أسلوب التفاعل القائم على الإيجابية والنقاش والحوار بإتاحة فرص استخدام تكنولوجيا المعلومات وتقليص سلطة المدرس والتوسع في أساليب التعلم ذاتيا واستخدام البرمجيات التعليمية ونظم المعلومات الأخرى في تنمية مهارات التواصل عبر البريد الالكتروني وحلقات النقاش. ومن أهداف هذه الغاية تنمية الإبداع والخيال باستخدام تكنولوجيا المعلومات التي توفر وسائل عدة لتحقيق هذه الغاية ومنها اعتماد أساليب التعلم بالاكتشاف وتشجيع الإبداع الفني والأدبي والعلمي وإتاحة الفرص للتعلم ممن الآخرين من خلال الحوار والمشاركة عبر الإنترنت واستخدام الوسائل التكنولوجية المختلفة.

– التعلم آلية لإقامة علاقة مع الآخرين:

ظهرت هذه الغاية مع التطورات التي أصبح يفرضها عصر العولمة الذي أدى إلى توسيع بيئة حياة الإنسان حيث أضاف إلى بيئته الأسرية والمحلية بيئة العالم على اتساعه وأصبحت ثنائية المحلية والعالمية أحد المحاور الرئيسية للفلسفة التربوية. وتظهر هذه الغاية من خلال الدعوة إلى التخلص من نزعات التعصب والعنف بتدريس تاريخ الحضارات وتشجيع مهارات الحوار والتصدي للعنف والعدوانية وكراهية الآخر وخاصة الأجنبي والغريب. ويتطلب تحقيق هذه الغاية إعطاء أهمية خاصة لدراسة الجغرافيا البشرية واللغات الأجنبية وتنمية الوعي بالقواسم المشتركة بين الثقافات والحضارات الإنسانية بما يفضي إلى اكتشاف الآخر من خلال اكتشاف الذات، مع العمل على تنمية مهارات الحوار والقدرة على الحجاج والإقناع والرغبة في المشاركة والتبادل وخلق التوازن بين التنافس وروح التعاون من خلال أساليب التعلم التعاوني وتنمية روح الفريق(١٠).

من خلال العرض المختصر للغايات الأربع لتربية العولمة يتضح الموقع الذي نجد فيه الأنظمة التربوية نفسها إزاء هذه الغايات فهي تواجه أنواع ممن الضغوط بعضها ينبع من الداخل والبعض الآخر يأتيها من الخارج.

والإشكالية التي تواجهنا هنا هل الغايات التي حددتها اليونسكو هي الغايات التي تتبناها الدول العظمى بداية من أمريكا و تسعى إلى تحقيقها فعلا، سنعود إلى منطلقنا الأول وهو أن هناك غايات واضحة وظاهرة وغايات مستترة لدى الدول العظمى فظاهرة العولمة أصبحت كقصر ظاهره فيه الرحمة وباطنه العذاب ، بمعنى أن الدول المهيمنة تتبنى شعارات في ظاهرها العدالة والديمقراطية والتربية لكنها في واقع الأمر وفي نواياها القضاء على خصوصية الأخر من خلال ضرب هويته وإنهائها وستكون آخر مرحلة من مراحل العولمة هي عولمة التربية في حد ذاتها وهي

إيذان بزوال الأخر المتمثل خاصة في المجتمع الإسلامي . ولتفادي هذا الأمر يجب على المجتمعات العربية الإسلامية أن تضيف الغايات التالية للتربية :
. يمكن القول أن هدف التربية الأساسي هو أنسنة الإنسان أي جعله مخلوقا إنسانيا يعيش في مجتمع ضمن إطار اجتماعي يحتوي علي تقاليد ونظم وقيم ومعايير وأفكار خاصة به .

. والعملية التربوية تكسب الفرد حضارة الماضي وتمكنه من المشاركة في ممارسة حضارة الحاضر وتهيئة للتطوير وإضافة واختراع وتقدم حضارة المستقبل. إنها عملية تسهم وتشارك وتدفع عجلة الزمن للبقاء إنها تحصيل فرد في تراث الجماعة وتراث جماعة ينتقل بواسطة فرد .

. التربية وسيلة وهدف طريقة وغاية تبدأ مع بدأ الحياة ولا تنتهي رغم نهاية حياة الأفراد، لأنها اجتماعية تخص المجتمع كما تخص كل فرد فيه هي راية تسلمها الجيل الحاضر من الجيل الماضي وسيسلمها الجيل الحالي إلي الأجيال القادمة هي عملية اجتماعية رغم كونها من العلوم التطبيقية، فهي جهد اجتماعي يمارس في المجتمع ويطبق علي مر الأجيال .

. إن وظيفة التربية تكون أساسا في نقل التراث من جيل وفي اكتساب الخبرات المتزايدة كأساس للنمو وتعديل النظم الاجتماعية المختلفة وتطويرها كما تعمل التربية علي تزويد أفراد المجتمع بالمواقف التي تنمي التفكير لديهم .

والتربية هي مؤسسة الثقافة التي عن طريقها يمكن تغيير عقول الأفراد وتجديدها.

. إن اعتبار التفاعل بين القوى الاجتماعية حقيقة المجتمع والثقافة نتاج هذا التفاعل يعني ارتكاز كل منهما علي حقيقة أخرى هي وجود قوة يملكها الأفراد بحكم وجودهم الاجتماعي والثقافي تحقق لهم استمرار هذا التفاعل وتضمن لهم كذلك الإفادة من هذا النتاج بعد تمثلهم له واستيعابهم لعناصره في دفع أسباب حياتهم الثقافية والاجتماعية .

وهذه القوة هي التربية التي إن دلت علي شيء فإنها تدل علي استعداد الفرد اللامتناهي للتغير والتشكل. وعلى قدرته في أن يغير هو نفسه بما تغير به في أسلوب حياته وأساليب حياة مجتمعه وأنماط ثقافته .وكذلك قدرته على تشخيص المحيط الثقافي الذي ينتمي إليه وتبين ما فيه من عناصر قوة وضعف والتمييز بينها وتوجيهها وصولا إلي مستوى أفضل لهذا المحيط بمستوياته المختلفة المتعددة. وإذا ما أخذت هذه النقاط في الحسبان من قبل المجتمعات العربية أمكنها التصدي للعولمة وتربيتها وفق نسقنا وليس العكس.

الخاتمة:

وخلاصة القول أن المجتمع الغربي اليوم يريد للآخر أن ينصهر في الأنا الخاص به ، و بكل خصوصياته ، ولن يتحقق له ذلك إلا بعولمة التربية في حد ذاتها. أما المجتمع العربي فإنه مطالب بامتصاص العولمة والاستفادة من ايجابياتها دون ضياع هويته، وهذا لا يكون إلا بخوصصة تربيته. فالعولمة اليوم تفرض على المجتمع العربي أن ينمي مناهجه الخاصة في التربية ليواجه خطر العولمة، والمجتمع الغربي يهدف من خلال عولمة التربية إلى إنهاء خصوصية التربية ليكتمل مخططه . وعلينا ندرك مبلغ الخطورة في ذلك. وعلى مناهج التربية في المجتمع العربية أن تسعى بكل قوة إلى احتواء العولمة الغربية احتواء كاملا و شاملا. فأن كانت المجتمعات الغربية تريد أن تعولم التربية لتنصهر باقي الشعوب فيها فأن المجتمعات العربية مطالبة بتربية العولمة لامتصاص ايجابياتها و تجاوز سلبياتها من اجل الحفاظ على الهوية وفي ذات الوقت الاستفادة من مكتسبات الأخر المتمثل في المجتمع الغربي وفي غياب هذا قد تتحول العولمة إلى استعمار غربي جديد للمجتمعات العربية والإسلامية.

الهوامش:

(١)– عبد القادر تومي : العولمة من الاقتصاد إلى الايديولوجيا ، الحكمة للنشر والتوزيع . الجزائر. ٢٠٠٩.ص ١٩

(٢)– فؤاد البنا : العالم الإسلامي بين التخلف الحضاري و رياح العولمة ، ط١، دار التوزيع والنشر الإسلامية . القاهرة ٢٠٠٦. ص ٢٣١

(٣)– إيدجار فور وآخرون: تعلم لتكون، ترجمة حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر ولتوزيع، الجزائر، ط٣، ١٩٧٩. ص ١٢١

(٤)– حسن أحمد غلاب : في التربية والتعددية الثقافية في الألفية الثالثة لـ – عبد الغني عبود – دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢.ص ١٤٧

(٥)– سعيد إسماعيل علي: فلسفات تربوية، سلسة عالم المعرفة، العدد ١٩٨، الكويت. ص ٥٧

(٦)– مادي لحسن: الأهداف والتقييم في التربية، المغرب، ١٩٩٠.ص٦٩

(٧)– مصطفى عبد الغني: المثقف العربي والعولمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠.ص ٨٩

(٨)– نبيل علي: الثقافة العربية وعصر المعلومات، رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٧٦، الكويت، ٢٠٠١. ص١٥٧

(٩)– نفسه ن ص ٨٧

(١٠)– اليونسكو: التعليم ذلك المكنون، مركز مطبوعات اليونسكو بالقاهرة، ١٩٩٩.ص ٤٨